مبلغ من المال

عندما أحنيت ظهري لالتقاطه، تذكرت حلمي الساذج الذي كان يلازمني دائمًا، بينما أسير لاهيًا سأعثر على النقود تبتسم لي وسط التراب، كنت دائمًا أسير مطأطأ الرأس؛ أملًا في تحقيق هذا الحلم، لكن يجب أن أعيد هذا المبلغ إلى صاحبه، هكذا علّمني أبي، لكن ترى كيف سأجد صاحبه؟ وأين؟

حسنًا، سأسأل كل من أقابل، وإلا وضعته في صندوق الصدقة بالمسجد.

_ وجدت مبلغًا من المال، أبحث عن صاحبه، هل سقط منك شيء يا عم؟

نظر الرجل إليّ مليًا، ثم قال:

_ نعم نعم، حدث بالأمس أثناء عودتي من الحقل.

_ كم تفقد؟

تردد قليلًا، ثم قال:

_ مئة جنيه، أو خمسين، لا أذكر بالضبط.

_ إذًا ما وجدته ليس لك.

قطَّب جبينه، وتركني غاضبًا، هذا تاسع تسعة أخبروني -عندما سألتهم- أنهم فقدوا اليوم مبلغًا من المال.

اقتربت من المسجد، قررت أن يكون ذلك المقبل عليّ آخر من أسأله، بعدها سأتوجه إلى صندوق الصدقة بالمسجد.

_ يا عم، وجدت مبلغًا من المال، هل سقط منك شيء؟

_ نعم أفقد مبلغًا منذ يومين.

يبدو أنني الوحيد الذي لم يفقد نقودًا في القرية..!

_ كم ضاع منك؟

حرك بؤبؤ عينيه يُمنة ويُسرة، ثم قال:
_ بالأمس سقطت مني خمسون جنيهًا، واليوم عشرون، منذ يومين فقدت مئة.
حملقت في الرجل، فانفجر في وجهي كالبركان:
_ قل لي كم وجدت وسأخبرك إن كان لي أو لا.
_ اطمئن، ما وجدته ليس لك يا عم.
لكن الرجل كشَّر عن أنيابه، وأمسك بتلابيبي:
_ هل تظنني سارقًا، هل هذا ما علّمك إياه أبوك، لن أتركك حتى تقول كم من المال وجدت..!
حاولت الإفلات منه، لكنه أحكم الإمساك بي، فقلت:
_ حسنا يا عم، سأُريك ما وجدت.
أفلت الرجل قبضته قليلًا، فأزحته وأطلقت ساقيّ للريح، فشيّعني بسيل من الشتائم.
عندما وصلت إلى المسجد، وجدت أبي يقف كأنه ينتظرني، ما إن رآني حتى جذبني من يدي وسار بي ناحية بيت العمدة.
_ إلى أين يا أبي؟
هز أبي رأسه، هزة المغلوب على أمره، ولم ينبس بكلمة.
في دوار العمدة يجلس عمدة قريتنا الفظّ بزيه المعتاد، شيخ البلد عن يمينه، وإمام الجامع عن يساره، كركرة الشيشة تعوي فوق الرؤوس، رحب العمدة بأبي فور دخولنا، قائلًا:
_ اجلس يا عوضين.. اجلس.
_ العفو يا حضرة العمدة، خير..؟
قال شيخ البلد بصوته الذي يشبه نقنقة الضفادع:
_ سمعنا أن ابنك وجد مبلغًا من المال، ويبحث عن صاحبه.

أجبت بزهو المنتصر:
_ نعم يا شيخ البلد، لم أجد صاحبه، لذلك سأضعه في صندوق الجامع.
فوجئ أبي بالأمر، لكنه استطرد قائلًا:
_ ابني أمين اسم على مسمى يا حضرة العمدة.
قال شيخ الجامع وهو يفرك يديه على عصا يتوكأ عليها:
_ لكنك لم تسأل العمدة يا ولد، قد يكون صاحبه.
تجمدت في مكاني، نازعتني رغبة في الضحك، هل هذا المبلغ الزهيد يمكن أن يكون للعمدة، وإن كان، فهو لا شيء، يبدو أنهم اعتقدوا أنني وجدت كنزًا..!
قال العمدة، وهو يعقد رجلًا على رجل:
_ لقد فقدت المحفظة بأكملها أمس، كان فيها مبلغ كبير، لا أتذكر قيمته، ربما ما وجدته بعض ما حوته محفظتي.
قال أبي بصوت مرتجف:
_ إذا هو لك يا حضرة العمدة. فأمَّن شيخ البلد وإمام المسجد على كلام أبي.
أخرجت جنيهًا معدنيًّا من جيبي، وجبيني الصغير يتصبّب عرقًا، فلما رأوا الجنيه غارقًا في كفي، غضبوا ثلاثتهم، اتهموني بالكذب وإثارة البلبلة، وأمر العمدة بجلدي، فصرخت قائلًا:
_ هذا ما وجدت يا أبي، هذا كل ما وجدته.
احتضنني أبي، وقال والدموع تملأ عينيه:
_ لا يا حضرة العمدة، أنا من أستحق الجلد، أنا من سيعاقب.